

إشكالية معالجة الاختناقات المرورية في الوسط الحضري - رؤية سوسيولوجية -

أ.د/ خشمون محمد

جامعة باتنة-1

أ.د/ قريد سمير

جامعة قالمة

مقدمة:

تمثل المدن الحضرية نواة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في العصر الحديث، حيث تجذب الأماكن الحضرية أعداداً كبيرة من السكان، الذين يبحثون عن فرص العمل والتعليم والحياة الثقافية المزدهرة، ومع هذه الزيادة فيعدد السكان الذين يعيشون في المدن، تزداد الضغوط على البنية التحتية الحضرية، ومن بين أبرز تلك الضغوط تأتي مشكلة الاختناقات المرورية.

إن الاختناقات المرورية تمثل تحدياً جسيماً في الوسط الحضري اليوم، حيث تؤدي إلى تباطؤ حركة المرور، وزيادة الوقت المستغرق في التنقل بين الأماكن، وما يجعل هذه المشكلة أكثر تعقيداً هو أنها لا تقتصر على الجوانب الهندسية والبنية التحتية فحسب، بل تمتد لتؤثر على الأبعاد الاجتماعية والسوسيولوجية للحياة في المدينة.

يمكن رؤية هذا التأثير بوضوح في الارتباطات الاجتماعية، حيث يتأثر تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض ومع المجتمع بشكل عام، قد تزداد حالات التوتر والاستياء بين السائقين والركاب، مما يمكن أن ينعكس سلباً على العلاقات الاجتماعية.

بالإضافة إلى ذلك، تؤثر الاختناقات المرورية في الوسط الحضري على سرعة الوصول إلى الأماكن والعمل والخدمات والمرافق، فقد يكون من الصعب الوصول إلى المدارس أو المستشفيات أو حتى إلى مقرات العمل بسبب الزحام المروري، مما يمكن أن يؤثر على الجانب الاقتصادي والنسقا لاجتماعي بشكل عام، إذاً يبرز هنا دور الرؤية السوسيولوجية في فهم هذه الإشكالية. فالبحث الاجتماعي يسلط الضوء على تفاعلات الأفراد والمجتمعات في السياق الحضري، ويساهم في تحليل كيفية تأثير الاختناقات المرورية على التواصل الاجتماعي، والاندماج الاجتماعي، وجودة الحياة.

سيتناول هذا البحث مشكلة الاختناقات المرورية في الوسط الحضري من منظور سوسيولوجي، حيث سنستكشف كيف تؤثر هذه الظاهرة على العلاقات الاجتماعية، والتفاعلات الثقافية، والتوزيع الاجتماعي للموارد في المدينة. سنقوم بتحليل تأثير الاختناقات المرورية على السكان من منظور سوسيولوجي، وسنستكشف كيف تؤثر على الهويات الثقافية والاندماج الاجتماعي.

نسعى من خلال معالجة هذه الإشكالية بعدسة السوسيولوجيا، إلى توجيه الضوء على الأبعاد الاجتماعية لمشكلة الاختناقات المرورية ومساهمة في تطوير استراتيجيات فعالة للتخفيف من تأثيرها على الحياة في المدن الحضرية.

أولاً- تحديد المفاهيم:

1- الاختناقات المرورية:

الاختناقات المرورية هي حالة تكدس المركبات على الطرق والشوارع بشكل يقلل من سرعة حركة المرور ويزيد من زمن الرحلة. كما تحدث الاختناقات عندما تتجاوز القدرة الاستيعابية للبنية التحتية الطرقية الإقبال على الاستخدام (Kutz, 2003, p. 313)

وبتعبير آخر، الاختناقات المرورية تعبر عن حالة تكدس المركبات على الطرق والشوارع داخل الوسط الحضري، مما يؤدي إلى تقليل سرعة حركة المرور وزيادة زمن الرحلة اللازم للوصول من مكان إلى آخر، ويحدث هذا التكدس نتيجة لتجاوز العدد الكبير من المركبات القادمة إلى الطرق للقدرة الاستيعابية للبنية التحتية الطرقية، فببساطة، عندما يزيد العدد الكبير من المركبات على الطرق عن القدرة التي تستوعبها مما يؤدي إلى تفاقم الاختناقات المرورية.

يمكن أن تكون هذه الاختناقات نتيجة للعديد من العوامل، بما في ذلك زيادة السكان في المدن، زيادة أعداد السيارات الخاصة، ونقص التخطيط العمراني والبنية التحتية المكافئة، إن تأثير هذه الاختناقات ليس محدوداً فقط على زمن الرحلة والسرعة، بل يمتد ليؤثر أيضاً على البيئة والصحة العامة نتيجة لزيادة انبعاثات الغازات وازدياد التلوث.

كما تعتبر لاختناقات المرورية ظاهرة تحدث عندما تزداد كثافة حركة المرور على الطرق إلى حد يجعلها غير قادرة على استيعاب السيارات بسهولة، حيث تكون هذه الظاهرة شائعة في المدن الكبيرة وتتسبب في تباطؤ حركة المرور وزيادة وقت الانتقال بين الأماكن. فالاختناقات المرورية تتسبب في تأثيرات سلبية على الاقتصاد والبيئة وجودة الحياة بشكل عام. (DURANTON & MATTHEW A. TURNER, 2012, p. 1407)

بهذا المعنى، تعتبر الاختناقات المرورية ظاهرة تحدث في الوسط الحضري، عندما يزداد تدفق حركة المرور بمعدل يفوق الطاقة الاستيعابية للبنية التحتية الطرقية، بمعنى آخر، عندما تزيد عدد السيارات على الطرق عن الحد الذي يمكن للطرق استيعابه بسهولة، فتزاحم السيارات يؤدي إلى تباطؤ حركة المرور وتكدس السيارات.

تتسبب الاختناقات المرورية في تأثيرات سلبية على عدة جوانب:

أ-تأثير اقتصادي: تؤدي الاختناقات المرورية إلى هدر الوقت والوقود، مما يكلف المجتمع اقتصادياً، لأن الوقت الذي يتم هدره في الزحام يؤثر سلباً على الإنتاجية الشخصية والاقتصادية للأفراد والشركات.

ب-تأثير بيئي:الازدحام المروري يزيد من انبعاثات ثاني أكسيد الكربون وتلوث الهواء، مما يسهم في تغير المناخ وتدهور جودة الهواء.

ج-تأثير على الجودة الحياتية:يزيد الازدحام المروري من مستويات التوتر والضغط على الأفراد، ويؤثر على نوعية حياتهم. يمكن أن يؤدي الوقوف في الزحام لفترات طويلة إلى تدهور الصحة النفسية والبدنية.

د-تأثير اجتماعي:يمكن أن تؤثر الاختناقات المرورية على التفاعلات الاجتماعية في المجتمع، مثل العلاقات العائلية والزمن الذي يقضيه الأفراد مع أسرهم وأصدقائهم.

في السياق ذاته، تشير الاختناقات المرورية إلى حالة تعطل حركة المرور على الطرق والشوارع نتيجة لتزايد عدد السيارات أو تصميم غير فعال للبنية التحتية المرورية،حيث أنهذه الاختناقات تصاحبها زيادة في زمن الانتقال وتأثيرات سلبية على الاقتصاد والبيئة.(Temitope & et al, 2022, p. 2).

في الواقع، الاختناقات المرورية هي حالة تكون فيها حركة المرور على الطرق والشوارع في المدن معقدة ومتوقفة جزئياً أو تماماً،وتحدث هذه الحالة نتيجة لعدة عوامل، منها تزايد عدد السيارات على الطرق والشوارع بشكل ملحوظ، مما يؤدي إلى تشديد المنافسة على المساحة والطرق، وتباطؤ الحركة وزيادة ازدحام المرور، إضافة إلى التصميم غير الفعال للبنية التحتية المرورية، فإذا كان التصميم الطرقي غير فعال، مثل انعدام وجود ممرات كافية أو عدم وجود خطط جيدة لتدفق حركة المرور، فإن ذلك يمكن أن يؤدي إلى تكديس السيارات وتحولها إلى حالات اختناق قد تؤثر سلباً على الإنسان والبيئة الطبيعية.

كما تشير الاختناقات المرورية من الناحية السوسيولوجية، إلى حالة تكديس حركة المرور على الطرق والشوارع في المناطق الحضرية، مما يتسبب في الازدحام المروري وزيادة وقت الانتقال بين الأماكن ويؤثر سلباً على جودة الحياة،ويمكن أن يحدث الازدحام نتيجة زيادة عدد السيارات على الطرق، ونقص البنية التحتية، وسلوكيات القيادة، وعوامل أخرى.. (BUTTON & PETER NIJKAMP, 1997, p. 231)

إنالاختناقات المرورية من الناحية السوسيولوجية تشير إلى حالة تكديس حركة المرور على الطرق والشوارع في المناطق الحضرية، وتبعاً لذلك يمكننا التأكيد على ما يلي:

أ-زيادة وقت الانتقال بين الأماكن:الاختناقات المرورية تجعل الرحلات بين المناطق داخل المدينة أكثر صعوبة وطولاً. يمكن أن تزيد بشكل كبير من وقت الانتقال اللازم للوصول إلى الأماكن المختلفة، مما يؤثر على جدول الأنشطة اليومية للأفراد.

ب- تأثير سلبي على جودة الحياة:الازدحام المروري يسبب إزعاجاً وتوتراً للأشخاص الذين يضطرون إلى مواجهته يومياً. قد يؤدي إلى استهلاك أكبر للوقت والطاقة، وقد يزيد من مستوى التوتر والضغط النفسية لدى الأفراد.

-أسباب الازدحام المروري: يمكن أن ينجم الازدحام المروري عن عدة أسباب، منها زيادة عدد السيارات على الطرق نتيجة للنمو الحضري وتزايد عدد السكان، ونقص البنية التحتية للنقل العام والطرق، وسلوكيات القيادة الغير فعالة والاعتماد الكبير على السيارات الشخصية بدلاً من وسائل النقل العامة.

-العواقب الاجتماعية: تؤثر الاختناقات المرورية بشكل كبير على الحياة الاجتماعية في المدن. مما تؤدي إلى تقليل الوقت المخصص للتفاعل الاجتماعي، وزيادة العزلة، وتقليل الوقت المخصص للنشاطات الترفيهية.

بشكل عام، تعكس الاختناقات المرورية من الناحية السوسولوجية التأثير السلبي على العلاقات الاجتماعية وجودة الحياة في المجتمعات الحضرية، تفهم السوسولوجيا كيفية تأثير هذه الظاهرة على التفاعلات والتواصل بين الأفراد والمجتمعات في هذا السياق الحضري وتسعى للبحث عن حلول اجتماعية لهذه المشكلة.

2- الوسط الحضري:

الوسط الحضري هو المنطقة المأهولة بالسكان والمكونة من المدن والبلدات والضواحي. يتميز الوسط الحضري بتجمع السكان بكثافة، والتنوع الثقافي، والأنشطة الاقتصادية المتعددة. يشمل الوسط الحضري مختلف البنى التحتية والخدمات العامة مثل النقل والتعليم والرعاية الصحية (Heath & et al, 2010) كما يشير الوسط الحضري إلى منطقة مأهولة بالسكان تتميز بالكثافة السكانية والتنوع الثقافي والاقتصادي، حيث يشمل الوسط الحضري المدن والضواحي والمناطق المجاورة، ويكون مركزاً للأنشطة الاجتماعية والاقتصادية. (Bluestone & et al, 2008)

فالوسط الحضري هو مركز للحياة الاجتماعية والاقتصادية، أين يلتقي الناس للعيش والعمل والتفاعل الثقافي، هذا التعريف يعكس الطبيعة المعقدة والديناميات المتنوعة للمدن الحضرية وأماكن السكن فيها. فضلاً عن ذلك، يعرف الوسط الحضري على أنه المنطقة التي تتكون من المباني والهياكل والبنية التحتية في المدن والمناطق الحضرية، حيث يشمل الوسط الحضري العديد من العناصر مثل الشوارع والمباني والمتنزهات والمدارس والمستشفيات والأماكن التجارية. فهذه البيئة تتأثر بعوامل متعددة بما في ذلك النمو السكاني والتخطيط الحضري والتلوث والاقتصاد. (He & et al, 2015).

وبعبارة أخرى، الوسط الحضري هو المنطقة التي تشكل مركز المدن والمناطق الحضرية، حيث يتألف هذا الوسط من مجموعة متنوعة من العناصر والبنية التحتية التي تجمع بينها مجتمعات البشر، ويشمل الوسط الحضري العديد من العناصر والمكونات مثل:

-المباني: تشمل المباني المنازل والمباني التجارية والمكاتب والمباني الحكومية. تعكس تلك المباني التنوع الوظيفي للوسط الحضري.

-الشوارع: تمثل الشوارع شبكة الاتصال الرئيسية في الوسط الحضري وتمكن التنقل بين المواقع المختلفة.

-المتنزهات والأماكن العامة:توفر المتنزهات والأماكن العامة أماكن للاجتماع والتفاعل الاجتماعي والترويح.

-المدارس والجامعات:تشكل المؤسسات التعليمية جزءاً أساسياً من الوسط الحضري وتلعب دوراً مهماً في توجيه تطور المجتمع وتحسين مستوى التعليم.

-المستشفيات والمرافق الصحية:توفر المرافق الصحية الرعاية الصحية للسكان في المدينة. الوسط الحضري يتأثر بعوامل متعددة تشمل النمو السكاني، التخطيط الحضري، التلوث البيئي، والتنمية الاقتصادية،ويطلب الفهم جيد للوسط الحضري، فهم التفاعل بين هذه العوامل لضمان تحسين جودة الحياة في المدن وتحقيق التوازن بين النمو الحضري والحفاظ على البيئة والموارد الطبيعية. لذا، يمكننا القول أن الوسط الحضري هو مكان حياة متنوعة وديناميكية يتأثر بعوامل متعددة ويشكل بيئة مشتركة للأفراد والمجتمعات في المدن.

ثانياً-الجوانب السوسولوجية المرتبطة بالاختناقات المرورية في الوسط الحضري:

1-تأثير الازدحام على العلاقات الاجتماعية:

الزحام المروري قد يزيد من التوتر والاستياء بين الأفراد وبين قائدي السيارات، مما يمكن أن يتسبب في حالات من الغضب والعداء، كما يمكن أن تؤدي زيادة مدة الانتقال في السير إلى فقدان الوقت الذي يمكن قضاؤه في الاجتماع مع الأصدقاء والعائلة، مما يمكن أن يؤثر سلباً على العلاقات الاجتماعية.

2-التأثير على الأمان والثقة الاجتماعية:

الازدحام المروري يمكن أن يؤدي إلى زيادة مستوى التوتر والقلق، مما يمكن أن يؤثر على الشعور بالأمان الاجتماعي في المجتمع. قد يزيد الزحام من تجارب القيادة السلبية والحوادث المرورية، مما يمكن أن يقلل من مستوى الثقة في الآخرين كسائقين.

3-العزلة الاجتماعية:

الاختناقات المرورية قد تقلل من التفاعل الاجتماعي وتزيد من العزلة بين الأفراد، حيث قد يجد الناس أنفسهم معزولين في سياراتهم دون فرصة للتفاعل مع الآخرين، فالوقت الذي يُنفق في الازدحام يمكن أن يكون وقتاً ضائعاً، يمكن أن يكون مخصصاً للأنشطة الاجتماعية الأكثر إثراءً.

4-التأثير على التنقل:

الازدحام المروري يمكن أن يؤثر على القدرة على الوصول إلى الخدمات والمرافق الضرورية، مثل المدارس والمستشفيات والمتاجر، هذا التأثير يمكن أن يزيد من الفوارق الاجتماعية في الوصول إلى هذه الخدمات ويؤثر على الفقراء بشكل خاص.

5-التأثيرات النفسية: الاختناقات المرورية يمكن أن تؤثر على الصحة النفسية للأفراد. الانتظار في حركة مرور مزدحمة لفترات طويلة يمكن أن يزيد من مستويات التوتر والضغط النفسي، وربما يؤدي إلى

زيادة حالات الغضب والاستياء، وهذا يمكن أن يترتب عليه تأثيرات على العلاقات الاجتماعية والجودة العامة للحياة.

6- السياق الثقافي والاجتماعي:

الازدحام المروري يمكن أن يتأثر بعوامل ثقافية واجتماعية مثل هيكل الأسرة والتفضيل لاستخدام وسائل النقل الخاصة، حيث يمكن أن يتطور نظام القيادة والسلوك المروري بناءً على القيم والمعتقدات الثقافية في المجتمع.

فهم هذه الجوانب السوسولوجية للزحام المروري يمكن أن يساعد في تطوير سياسات أفضل للمدينة والمجتمع للتعامل مع هذه المشكلة بفعالية وتحسين نوعية الحياة في الوسط الحضري.

ثالثاً- معالجة مشكلة الاختناقات المرورية في الوسط الحضري:

تعتبر معالجة الاختناقات المرورية في الوسط الحضري من منظور سوسولوجي تحدياً معقداً، حيث تؤثر هذه الاختناقات على العديد من الجوانب الاجتماعية والثقافية، فيما يلي بعض الحلول التي يمكن أن تساهم في معالجة هذه المشكلة برؤية سوسولوجية:

1- تعزيز وسائل النقل العامة:

يمكن تشجيع استخدام وسائل النقل العامة من خلال توفير خدمات نقل جيدة وبأسعار معقولة، هذا يمكن أن يقلل من الاعتماد على السيارات الشخصية، وبالتالي يقلل من الاختناقات المرورية.

2- التحفيز للتنقل المشترك:

يمكن تشجيع التنقل المشترك ومشاركة الرحلات بين الأفراد، مما يقلل من عدد السيارات على الطرق ويسهم في تقليل الاختناقات المرورية.

3- تطوير بنية تحتية ذكية:

يمكن تطبيق التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي في إدارة حركة المرور وتوجيه السائقين إلى الطرق الأقل ازدحاماً، ذلك يمكن أن يساعد في تحسين كفاءة النقل وتقليل الوقت المستغرق في الرحلات.

4- تعزيز ثقافة القدرة على السير والدراجات الهوائية:

يمكن تعزيز استخدام وسائل التنقل البديلة مثل المشي وركوب الدراجات، ذلك يمكن أن يخفف من الضغط على الطرق ويعزز النمط الصحي للتنقل.

5- تحسين التخطيط العمراني:

يمكن تطوير وتحسين التخطيط العمراني للمدن، بهدف توفير مناطق معيشة أقرب إلى أماكن العمل والخدمات، هذا يمكن أن يقلل من الحاجة إلى السفر الطويل، ويقلل من الاختناقات المرورية.

6- التوعية والتعليم:

يمكن تنظيم حملات توعية وتعليم حول أهمية القيادة المسؤولة والتقليل من استخدام السيارة الشخصية في التنقل، هذا يمكن أن يساهم في تغيير سلوكيات الناس وتقليل الاختناقات.

7- المشاركة المجتمعية:

يجب تشجيع المشاركة المجتمعية في عمليات اتخاذ القرار والتخطيط العمراني، يمكن للمجتمع المشارك في تحديد الاحتياجات والأولويات في ما يتعلق بالنقل والتخطيط الحضري.

8- تشجيع العمل عن بعد:

تشجيع أسلوب العمل عن بعد والتفاعل الاجتماعي الرقمي يمكن أن يقلل من عدد الرحلات اليومية للعمل، وبالتالي يقلل من الاختناقات.

وبشكل عام، فإن تنفيذ هذه الحلول يتطلب جهودًا تعاونية من الحكومات المحلية والمجتمع والقطاعات ذات الصلة، بالاعتماد على رؤية سوسيولوجية، يمكن تحقيق تغييرات في السلوك والتفاعل الاجتماعي للأفراد والمجتمعات لتحقيق تخفيف الاختناقات المرورية في الوسط الحضري.

خاتمة:

في ختام هذا العمل، ندرك أن معالجة مشكلة الاختناقات المرورية في الوسط الحضري تعد تحديًا كبيرًا، خاصةً عندما ننظر إلى فهم هذه المشكلة من منظور سوسيولوجي. إن الاختناقات المرورية ليست مجرد مشكلة هندسية أو تقنية، بل تمتد لتؤثر على الحياة اليومية للأفراد والمجتمعات في الوسط الحضري. من خلال تحليل العلاقات الاجتماعية والثقافية، وتأثير الاختناقات على النمط الحياتي والبيئي، ندرك أهمية تبني استراتيجيات شاملة لمعالجة هذه المشكلة، لقد قدمنا مجموعة من الحلول التي تستند إلى الرؤية السوسيولوجية لمعالجة الاختناقات المرورية، بدءًا من تعزيز وسائل النقل العامة، وتشجيع التنقل المشترك إلى تحسين التخطيط العمراني، وتشجيع العمل عن بعد، هذه الحلول تعكس تفهمنا للأبعاد الاجتماعية لهذه المشكلة والحاجة إلى تحقيق التوازن بين الاحتياجات الفردية والاجتماعية في الوسط الحضري.

في الأخير، يتعين علينا العمل معًا كمجتمع للتغلب على هذه التحديات المرورية وتحقيق جودة الحياة في المدن الحضرية، حيث تعكس معالجة الاختناقات المرورية برؤية سوسيولوجية التفاعلات المعقدة بين البنية التحتية والتفاعلات الاجتماعية، وتشجع على إيجاد حلول تأخذ في الاعتبار احتياجات الأفراد والمجتمع في مجمله، إن تطبيق هذه الحلول يمكن أن يساهم في تحسين الجودة الحضرية، وتعزيز التنمية المستدامة في المدن المعاصرة.

قائمة المراجع:

- 1- Bluestone, B., & et al. (2008). *The Urban Experience: Economics, Society, and Public Policy*. Oxford: Oxford University Press.

- 2- BUTTON, K., & PETER NIJKAMP. (1997). Environmental Policy Assessment and the Usefulness of Meta-analysis. *Socio-Economic Planning Sciences, Volume 31*(Issue 3).
- 3- DURANTON, G., & MATTHEW A. TURNER. (2012). Urban Growth and Transportation. *The Review of Economic Studies, Vol. 79*(No. 4).
- 4- He, J., & et al. (2015). Applying a spatial decision support system to the integrated regional planning of China. *Environment and Planning B: Urban Analytics and City Science, Volume 42*(Issue 6).
- 5- Heath, T., & et al. (2010). *Public Places Urban Spaces: The Dimensions of Urban Design* (éd. 2nd). LONDON: Routledge.
- 6- Kutz, M. (2003). *Transportation and Traffic Engineering Handbook*.USA: McGraw-Hill Professional.
- 7- Temitope, A., & et al. (2022). The Effect of Street Trading on the Urban Environment. *International Journal of Women in Technical Education and Employment (IJOWITED), Volume 3* (Issue 1).